

المثاقفة النقدية العربية للمناهج الغربية، نظرية القراءة والتلقي أنموذجا.

## The Arab Critical Platform for Western Approaches, Reading and Receiving Theory as a Model

أسامة عميرات \*

المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار سطيف (الجزائر)

o.amirat@ens-setif.dz

تاريخ الأرسال: 2021-07-08	تاريخ التقييم: 2021-11-09	تاريخ القبول: 2021-12-30
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص:

لعلّ من مسلمات البحث النقدي وأصوله، أن النقد الأدبي العربي - قديمه وحديثه - ، قد جمعت بينه وبين النقد الأدبي الغربي علاقات تجاور وتجاوز كما كانت هناك أيضا علاقات تنافر وتباعد؛ لكن الضرورة العلمية في تجديد الأوعية الثقافية لهذا النقد تفرض منطقا جديدا من المثاقفة والحوار النقدي الهادف.

إنّ انفتاح النقد العربي المعاصر على نظرية القراءة والتلقي يعدّ من صميم المثاقفة النقدية، تأكيدا لقيمة الذات المتلقية للعمل الأدبي، وقدرتها على فتح عوالم معنوية ممكنة للنص المقروء، وتأهيلها لممارسة فعل القراءة واستيفاء جميع شروطها التاريخية والجمالية، واستثمار آلياتها المنهجية وأدواتها الإجرائية في مقارنة النصوص العربية القديمة والحديثة.

كلمات مفتاحية: المثاقفة ؛ الهوية ؛ الانفتاح ؛ الحضور ؛ القراءة والتلقي.

### Abstract:

Perhaps one of the assumptions of critical research and its origins is that old and recent Arab literary criticism has been impacted by Western literary criticism in many ways, both positively and negatively.

However, the scientific necessity of renewing the cultural mediums of this criticism imposes a new logic of acculturation and meaningful critical dialogue. The openness of contemporary Arab criticism to the theory of reading and receiving is at the heart of the critical

acculturation. This affirms the value of the reader of the literary work, his ability to make different interpretations of the text, and his qualification to practice reading and to meet all its historical and aesthetic requirements as well as using its methodological mechanisms and procedural tools to understand ancient and modern Arabic texts.

**KEYWORDS:** acculturation; identity; openness; presence; reading; receiving.

\*المؤلف المراسل.

## 1- مقدمة:

إنّ حضور نظرية القراءة والتلقي في الخطاب النقدي العربي المعاصر، أواخر الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي، ومازال حضورها متميزا في الساحة النقدية العربية، نظرا لما توفره من مقولات معرفية وما تقدمه من آليات منهجية في قراءة النص الأدبي، تعلي من شأن القارئ وتؤكد دوره ووظيفته في القراءة والتأويل، ومساهمته أيضا في لانهائية الدلالة.

انسجاما مع هذا الطرح، تأتي هذه الدراسة لتبحث في بعض الممارسات النقدية لنقادنا العرب في مجال القراءة والتلقي من خلال تصنيفها ضمن محاور وخطابات تتعلق بالأصول والمنطلقات المعرفية للنظرية أولا، ثم البحث في المقولات والمفاهيم، ثم الذهاب إلى الممارسة والتطبيق، لتختتم بجملة من النتائج والاستنتاجات والإجابة عن الإشكالات المطروحة في متن الدراسة، كما اهتمت هذه الأخير بالمنهج الوصفي أو الميتانقدي في محاوره هذه الكتابات وأهم ما يتعلق بها من أفكار ورؤى نقدية تحدد مجال الاشتغال والاختصاص.

## 2. المثاقفة النقدية (التصور والمفهوم):

يجد المختصون بشأن المصطلحات والتعريفات أنفسهم في حالة من الارتباك والحرج المعرفي تجاه مصطلح المثاقفة النقدية (Intercultural critique) نظرا لاتساع دلالاته من جهة،

واشتماله على مجالات ومواقع واسعة من البحث النقدي من جهة أخرى؛ تخصّ أساساً الخلفية الفلسفية والدافع الإبستمولوجي لهذه العملية، وأهم المصطلحات والمفاهيم الضرورية للمحاورة والتثاقف النقدي، وكذا المقاصد والغايات من وراء هذا البحث النقدي المقارن؛ « وهكذا، نجدُ من بين القضايا المثارة في أبحاث المُثاقفة تحديد الحدود وتعريفها. لأنّ كلَّ نقل ثقافي يوجب وجود حدود وطنية أو إقليمية لتعرّف ثقافة في اختلافها عن أخرى. <sup>1</sup> » إذن هناك جملة من المعطيات والأليات والرهانات التي تبرّز بدورها الخصوصية الثقافية لكل خطاب نقدي دون آخر؛ وهنا تظهر مهمة الناقد المتخصص في الكشف عن مواطن التلاقي بين الخطابات النقدية، وفرص التواصل والتحاور والتفاعل بينها. « قال أبو حيان التوحيدي: فلعل هذه المُثاقفة تبقى وتُروى، ويكون في ذلك حسن الذكرى. <sup>2</sup> » فتبادل النافع والمفيد إذن بين الخطابات النقدية يعدّ من صميم المُثاقفة النقدية القويمة؛ « ذلك أنّ للدراسات العابرة والمُثاقفة موضوعات خاصة في هذا الميدان. لأنّ الالتقاء في إطار وطني أو عابر لوطنية الثقافات المختلفة، يُحللُ بالمعنى الدينامي في سلسلة طرائق النقل المتبادل. وفي مادة الأدب يتعلّق الآخر بمُلاحظة تداخل أفعال العناصر الخاصة بمُختلف الثقافات التي ترتبطُ بعلاقة الإنتاج والترويج وقراءة النُصوص. <sup>3</sup> »

إذ لا معنى لخطاب أدبي أو نقدي يظل رهين المطابع والرفوف المكتبية دون أن يلقى الرعاية الثقافية والأكاديمية والإشهاد المرجعي في الكتابة والنقد والمقارنة وإظهار الكفاية التواصلية بينه وبين النصوص المجاورة له والعبارة إليه. « فإذا حدث انتقال من فضاء إلى آخر، لم ينحصر هذا الانتقال في شكل الأدب، أو طريقة إيصاله، بل تعداه إلى مادته وطبيعته، بما يغيّر من أفق تلقي القارئ له. فمع كلّ تغيّر في الفضاء الاتصالي، لابدّ من فحص الأشكال والكيفيات التي تغيّر بها الأدب. إن للخطاب النقدي ظرفاً إنتاجياً أو فضاءً سردياً يحكم سرّاً عملية توجيهه هذا النقد، ويتظاهر في الوقت نفسه بموقف حيادي كمجرد وسيط وناقل. <sup>4</sup> »

إذن هناك جملة من المرافعات المعرفية والمواضع المنهجية، التي يختص بها الخطاب النقدي في توجيه مسار العملية النقدية وطريقة اشتغالها على النصوص الأدبية، بمناهج نقدية محلية أو استعارة مناهج نقدية غريبة - غريبة،

عن طريق الانفتاح الواعي والمحاورة العلمية العميقة لهذه المناقشة المنهجية الجديدة؛ وهنا ينبغي الإشارة إلى تعريف مصطلح المثاقفة عند « ميشيل دو كوستر Michel De Coaster بأنه مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة كالتأثير والتأثر والاستيراد والحوار والرفض والتمثل وغير ذلك؛ مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات. وهو ما يعني أن التركيبة الثقافية والمفاهيمية لا يمكن أن تبقى أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه من قبل هذه العملية»<sup>5</sup>

هذه المثاقفة بحكم أنها محاورة نقدية واعية تبحث عن أساق معرفية جديدة تجيب بدورها عن القضايا المستشكلة والأسئلة المؤجلة أو المستحثة التي طرحها أو يطرحها العقل النقدي على عوالم النص الأدبي والبحث عن القيمة المضافة لهذه الوضعية الإستراتيجية، سواءً على مستوى التفكير والإنتاج أو الإبداع أو التقبل والتمثل وحتى الرفض والعدول والإبدال.

إذن تتوارد على ضفاف هذا المكون المعرفي " المثاقفة النقدية " جملة من التعالقات النظرية والتضافرات المنهجية والأبعاد التداولية، التي ما من شأنها أن تخلق دينامية ثقافية مثيرة لسؤال الهوية والموقف من الغيرية الفكرية واللغوية، و تدعو أساساً إلى نبذ التعصب والتحيز وتجاوز فرص فرض السيطرة والتبعية؛ بل تلتقي هذه الثقافات على حس نقدي مشترك لا تتمايز حوله المظان ولا تفصل بينها حدود البلدان وما وصل إليه الإنسان من أصالة وبرهان، بل الغاية القصوى من وراء هذه المحاورة تحقيق مبدأ المجاورة والرغبة في الإفادة والاستفادة بكل كفاية ودراية.

### 3- الهوية النقدية والتعددية الثقافية:

يستمد كل خطاب نقدي شرعيته العلمية ومشروعيته التداولية في الأوساط الثقافية من خلال استناده على خلفية معرفية أصيلة ومتأصلة، وقدرته أيضاً على مثاقفة الخطابات النقدية المحلية والعالمية ومقدرته على إنتاج خطابات نقدية

جديدة تراعى فيها الخصوصية الثقافية وتتماشى مع حركة العصر المعرفية. أما بالنسبة للخلفية المعرفية لهذا الخطاب، فلقد تشكلت نتيجة ممارسات نقدية طويلة ( عفوية أو مقصدية)، قُدمت على إثرها تصورات نظرية واستنتاجات منطقية وأحكام نقدية حول العملية الإبداعية. وجدت فيها الذات الناقدة فيما بعد المنطلق الأساس في الكتابة والممارسة، في التنظير أو التطبيق، في التقليد أو التجديد، أي بمعنى لم تجد الذات الناقدة نفسها دعيّة على الذوات الناقدة الأخرى، ولم تكن مرة منقطعة عن الأصل الواضع أو غير قادرة على التواصل أو الانفتاح المعرفي على الآخر المختلف؛ على اعتبار «أن الثقافات الإنسانية غالباً ما تدرك هذه الحقيقة بشكل انتقائي يتوقف مدى اتساقه وافتحه، أو مدى تناقضه وانغلاقه، على موقع كل ثقافة / أمة في التاريخ ودورها في كل مرحلة من مراحلها، فإذا ما توافر لديها موقع مركزي فيه، وامتلكت موارد التأثير في حركة سيره، كانت رؤيتها لغيرها من الأمم والثقافات أكثر تفتحا وتسامحا، وإذا ما افتقدت ذلك الموقع وتلك الموارد، وتمش دورها في تشكيل العالم المحيط بها، كانت رؤيتها للآخر أكثر سلبية وانطوائية»<sup>6</sup> مفاد هذا الأمر أنّ المثاقفة النقدية القويمة هي التي تتخذ المرجع الثقافي منطلقاً لها للتعرف على نتائج الذوات النقدية الأخرى، بما يتناسب واحتياجات الذات الناقدة الأصليّة، سواء ما تعلق منها بالمنطلقات المعرفية أو الخلفيات الفلسفية أو المصطلحات والمفاهيم النقدية أو الآليات المنهجية أو الخطوات الإجرائية والأقانيم العلمية والأوساط الثقافية. وهنا ينبغي الإشارة إلى قضية مهمة، أشار إليها علي حرب في كتابه " أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر" وهي قضية المراجعة النقدية الذاتية لهذه الهوية النقدية من خلال معرفة مكوناتها الحقيقية ومؤهلها الفعلية لممارسة الفعل النقدي أو الثقافي ومدى قدرتها على مثاقفة الآخر المختلف عنها لغويًا وفكريًا، واستشرافها لوضعها المعرفي بعد هذا الانفتاح الحضاري، يقول علي حرب: « نعم على المرء أن يذود عن أهله ووطنه، وأن يذبّ عن تراثه وهويته، وأن يدافع عن حقوقه وحياته، ولكن عليه أن يعترف بأخطائه وأن لا يتستّر على عيوبه أو يهرب من مكاشفة نفسه، خاصة إذا

كانت طريقته في التفكير والأداء والمطالبة غير مجدية أو توؤل إلى الفشل الذريع»<sup>7</sup>. والسبيل الأمثل للخروج من هذه الوضعية الحرجة هو ممارسة فعل النقد على المكون المعرفي لهذا العقل النقدي العربي. من جهة منطلقات التفكير أو مقتضيات التحكيم والإشهاد المرجعي لهذه النصوص المؤسسة للنقد العربي، والسبيل إلى ذلك هو الانتقال « من الحفر في النصوص إلى نصنصة التجارب، الأفعال، الأحداث؛ لكونها ممثلة عن هذه النصوص، أو لأن النقد العربي لا يمكن فهمه إلا من خلال جزئيتين: - النصوص النقدية التي تشكلت طبقات في التراث النقدي. - النقاد الذين أصبحوا ممثلين للخطاب النقدي را هنا وقديما. »<sup>8</sup>

إنّ معاينة هذه النصوص النقدية المؤسسة لطبقات التفكير النقدي العربي بمنطق السؤال العلمي الدقيق، يجعلنا على دراية تامة بمؤهلات وإمكانات الذات الناقدة في محاورة النصوص الأدبية والنقدية المحلية منها والأجنبية، ومعرفة مباشرة بمواطن القوة في الجهاز النقدي الواصف والمقارن، وما يحتاجه من جرعات معرفية تكون منتقاة بعناية من مورد النظرية النقدية المعاصرة، التي هي في الحقيقة ملتقى الأفكار والنظريات والمشاريع النقدية العالمية المتجاوزة لحدود الإقليمية والزعات الإيديولوجية؛ لأنّ « الثقافات تتفاعل وتتداخل ويقترض بعضها من بعض بدون قيود وشروط إذا كان ما يُقترض يَسُدُّ ضرورات وحاجات، وأما ما زاد على الضرورات والحاجات فإن هناك إوالبات نفسانية تتدخل لتحديد كيفيات التعامل والافتراض.»<sup>9</sup>

من هنا جاءت فكرة التلاقي والتحاور والانفتاح الحضاري على الذوات الفاعلة في الساحة النقدية العالمية، الرامية أساسا إلى التعريف والترويج لهذه التجارب الرائدة في الفكر والأدب والثقافة والنقد، والداعمة منهجا وطريقة إلى ممارسة الفعل النقدي والثقافي بكل حرية والتزام ومسؤولية؛ وهذا كبديل منهجي وكبلسم نقدي في جبر كسر الذات الناقدة المنشطرة والمتناحرة على تخوم مُخلفات أو ترصبات استعمارية - استعارية، قديمة أو حديثة، جراء الانهيار بثقافة الآخر وبمناهجه النقدية (السياقية أو النسقية أو ما بعد النسقية من نظريات القراءة والتلقي والتأويل والنقد الثقافي (...))، « إن المتأمل لحركة

المناقفة النقدية التي عرفها النصف الثاني من القرن العشرين، عكست التوجه الواضح للنقد العربي في مسعاه لتمثل الأفكار والنظريات النقدية الجديدة، وهذا المسعى يأتي في رأينا استجابة لمتطلبين اثنين هما: 1- نزعة التحرر من الخطابات النقدية الإيديولوجية بكل تبعاتها المرجعية سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية. والتزوع لتعصير الخطاب النقدي العربي بتنوع مكوناته، وإضافة مجالات جديدة لم تشر إليها البلاغة العربية التي وضعت أساسا لنقد الشعر. <sup>10</sup> « ترمي هذه النزعة أو هذا النوع من القراءة إلى إعادة تحيين الخطاب النقدي العربي، وجعله ينسجم ويتماشى مع مقتضيات الثقافة النقدية المعاصرة، وأنساقها المتحكمة في بناء وحركية هذا الفكر النقدي المعاصر؛ كمقولة النسق المحايث في مقابل سلطة المرجع أو السياق الموجه، ومن أحادية النظر والتفسير إلى سعة الدلالة في القراءة والتأويل. المتطلب الثاني: « البحث عن قواعد وضوابط منهجية وإجرائية تستجيب لمقتضيات الأشكال الخطابية الجديدة الوافدة من أوروبا بالتحديد كالجنس الروائي على سبيل المثال. <sup>11</sup> »

إنّ هذه الأجناس الأدبية الجديدة والوافدة على الثقافة الأدبية العربية، والاستجابة الواسعة لمبدعينا في الكتابة على منوالها والتجريب على تقنياتها وخصائصها البنيوية، تعزّز من حظوظ وشروط المناقفة النقدية العربية للآليات المنهجية والأدوات الإجرائية الغربية المقاربة لهذه الأجناس الأدبية الشعرية والنثرية..

إنّ انفتاح النقد العربي المعاصر على نظرية التلقي والقراءة الألمانية، جاء في إطار هذا التعدد والتنوع الثقافي والحضاري العالمي الحاصل، ورغبة الذات الناقدة العربية اقتفاء أثر بعض التجارب الرائدة في حقل الدراسات النقدية المعاصرة، والتي عانت بدورها ويلات الاستعمار والانهييار الفكري والثقافي؛ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، نعني به المجتمع الألماني ، الذي خرج مثقلا بخسائر مادية وبشرية كبيرة، وأزمات فكرية عميقة، « فقد نشأت في بلد خرج منهزما من الحرب العالمية الثانية، ونشأت في سياق يمقت التاريخ وويلاته بعد تلك الحرب، ونشأت في سياق " إبدال " معرفي جديد لا عهد للبشرية به مثل الحكم الذاتي والإعلاميات، ونشأت في سياق إطار منافسة إقليمية، وعلى هذا، فقد تتلقى على أنها نظرية المنهزم الذي يسعى إلى النهوض من كبوته، والذي يريد أن يستفيد العبرة من تاريخه الخاص

ومن التاريخ الكوني ... أو هي نظرية من يريد أن يرجع القيمة المسلوقة من الإنسان لكي يبدع ويخترع ليتجنب الصعوبات التي تعترضه ويبتكر حلولاً قائمة<sup>12</sup> « على إعادة التوازن والتماسك إلى منظومته الثقافية المرجعية المختلة، وذلك من خلال تطوير مشروع نهضوي أو إصلاحي جديد، تستلهم فيه من الماضي الثقافي عناصر الاستمرارية والمشروعية، وتُستوعب فيه من الحاضر الحقائق والتوجهات الكبرى لمسيرة التاريخ البشري، وتتضافر فيه عناصر الاستفادة من عبر ودروس وخيبات أمل، مع مطالب الإصلاح المنقذ المنشود وطموحاته. »<sup>13</sup> تمثل هذا الإصلاح النقدي في ميلاد نظرية القراءة والتلقي، كضرورة علمية دعت إليها الحاجة المنهجية في رد الاعتبار للمتلقى أو لقارئ النصوص الأدبية أو النقدية أو الثقافية، ضماناً لاستمرارية حياة النصوص المقروءة، وتمكيناً للذات الناقدة من إنتاج الدلالة والمعرفة. « ومدرسة كونستاس هي أولى المحاولات الكبرى لتجديد دراسات النصوص على ضوء القراءة. » فإذا ما كان مهد نشأتها هو ما كان يدعى سابقاً بألمانيا الغربية وخصوصاً في جامعة " قسطنس " على يد " ياوس " و " ايزر " اللذين اعتمدا على الميراث الألماني الفلسفي بصفة عامة، والفلسفة الظاهرية بصفة خاصة، فإنها انتقلت بعد ذلك إلى ما كان يدعى بألمانيا الديمقراطية وإلى أمريكا وإلى فرنسا فإلى كثير من بقاع العالم الأخرى، فبدأت تعلم في الجامعات وتحتل مكانها في كتب النقد والتأويل.<sup>14</sup> وكان اهتمام الباحثين قبل ذلك منصباً على كشف الروابط القائمة بين النص ومبدعه، فراح أتباع المدرسة الألمانية ينادون بانتقال البحث من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص.<sup>15</sup> وهنا تظهر القيمة المضافة في مثاقفة هذه النظرية النقدية الجديدة، والاستثمار النوعي لأدواتها المعرفية وآلياتها المنهجية في قراءة النصوص الأدبية.

#### 4- حضور نظرية القراءة والتلقي في الخطاب النقدي العربي :

لقد انتقل فعل المثاقفة النقدية العربية لنظرية القراءة والتلقي من منطق الرغبة في معرفة نتاج الآخر إلى فعل التقبل والتمثل؛ عن طريق تقديم خطابات واصفة للمنطلقات والأصول النظرية، مروراً إلى معرفة المصطلحات والمفاهيم الناظمة للجهاز الاصطلاحي



والمفاهيمي لهذه النظرية، ومن ثمة استثمار آليات التلقي واستراتيجيات القراءة في مقارنة النصوص الأدبية العربية القديمة والحديثة.

سيكون عرضنا ووصفنا لهذه الممارسات الثقافية النقدية العربية لنظرية التلقي الألمانية، خاضعا لمعيار الوصف الموضوعاتي؛ عبر تحديد المدونات النقدية تبعا للبناء المنطقي للنظرية؛ ( الأصول – المصطلحات والمفاهيم – الآليات والاستراتيجيات – الآفاق والمشاريع )

4-1- خطاب الأصول: ينطلق كل منهج أو نظرية نقدية من أصول معرفية أو فلسفية تؤسس للفعل النقدي قواعد النظر والاستدلال والحجاج، وتجعل الخطاب النقدي ينتقل بكل موضوعية في سلم إنتاج المعرفة العلمية، أي من التأصيل إلى التأسيس إلى التجريب والتجديد. تطالعنا في هذا المستوى الأول من الثقافة التأصيلية لنظرية القراءة والتلقي، دراسة الباحث ناظم عودة خضر بعنوان الأصول المعرفية لنظرية التلقي، الكتاب صادر عن دار الشروق، عمان، الأردن، 1997، يقع هذا الكتاب في ثلاثة فصول اتخذت طابع التأصيل والتفريش المعرفي لميلاد نظرية التلقي؛ بدءا بقضية المعنى والاستجابة الجمالية في النظرية القديمة؛ وهذا للتعرف على ممارسات الذات القارئة أو المتلقي في إنتاج المعنى، تبعا لخصوصيات معينة تخص وضع اللفظ وحال المتلقي في تحقيق الاستجابة الجمالية للأثر الأدبي عند السفسطائيين أو وظيفة الأدب وعلى بنيات العمل الفني في إحداث الاستجابة والتلقي عند أرسطو أو من خلال التعرف على نظرية السمو عند لونغينوس من خلال معرفة مباشرة وملموسة للعمل الأدبي وترك المجال واسعا للأفكار في التحليق بالعقل إلى مراتب الحكمة والإلهام. والغاية من إيراد هذه المواضع أو التنظيرات الأولية لعملية التلقي والاستجابة الوقوف عند تاريخ الأفكار الأدبية والنقدية القديمة في مجال توليد المعنى من المتلقي القديم، وبيان أهم الفروق المنهجية بين النظرية النقدية القديمة ونظرية التلقي الحديثة من جهة المقولات المركزية أو القاعدية، يقول المؤلف: « ولذلك فإن النظرية القديمة تبحث في وسائل التمكين، وتسعى كذلك إلى المحافظة على معنى النص، أي المعنى الذي حاول المؤلف أن يوصله .. على عكس النظرية الحديثة في التلقي التي تقوم بإعادة بناء للمعنى من خلال فعل الإدراك. فالإدراك عملية دالة في النظرية الحديثة. »<sup>16</sup>

ليتطرق بعدها المؤلف إلى الأصول الموطئة لجمالية التلقي وارتباطها الوثيق بالظاهراتية Phenomenology « ويقوم المنهج الفنونولوجي، كما أسسه هوسرل، على فكرة جوهرية مفادها أن الأشياء لا توجد كأشياء في ذاتها، بكيفية خارجية وقبلية، وفي استقلالية مطلقة بالنسبة إلينا، بل إنها تظهر دائما كأشياء يفترضها أو يقصدها الوعي. »<sup>17</sup> ، كخلاصة فهم شخصية يقوم بها الشخص المؤول في لحظة جمالية مخصوصة، وأن تفسير الأشياء يخضع لشعور الفرد الخالص وفهمه الذاتي، « فالتوجه من الذات نحو الموضوع هو لوصف "ظاهرة" الشيء في الوعي " أي المعنى الذي يخلق في تلك الآنية الوجودية "»<sup>18</sup> ليثبت بعده المؤلف المرجعية المعرفية لطبيعة العلاقة بين القطب الفني والقطب الجمالي وأصولها الفلسفية والنقدية عند إنجاردن وياوس، وما يترتب عنها من تفاعلات وموضوعات تثبت أحقية المتلقي في صنع المعنى، وأهم الآليات التي ينتهجها في قراءة الآثار الفنية كالفهم والتأويل عند كل من غادامير وهيدغر وارتباطهما الوثيق بالسياق اللغوي المحيل إلى المركز أو الهامش التأويلي.

يوصل المؤلف تقديم الأصول المعرفية لنظرية التلقي للقارئ أو المتخصص العربي، ليعقد بعدها بحثا مهما حول الأصول النقدية لهذه النظرية، بدءًا بنقاد مدرسة جنيف الذين ينصبون جلّ اهتمامهم حول علاقة الذات بالموضوع ودورها في بناء الوعي الكلي والجزئي للعمل الأدبي، من خلال ربط السياق العام للأفكار السائدة في عصر المؤلف مع الصياغة الفنية للغة وانصهارها في ذات القارئ بصفة قصدية ليعود إنتاجها على شكل استجابات جمالية تجمع بين الأفكار السابقة واللاحقة لبناء التصور الصحيح والموقف الصريح من المعنى والمعنى المحتمل. كما ركز المؤلف على المرجعية النقدية للقارئ الضمني عند فولفغانغ أيزر؛ فيعدّ « الناقد الأمريكي واين بوث Wayne .C. Booth أحد المصادر الأساسية التي استقى منه أيزر مفهوم القارئ الضمني Implied reader وكان بوث قد طرح مفهوم المؤلف الضمني Implied Author في النقد الأدبي عام 1961 حيث وجد مع آخرين كثير - أي مع تيلوتسن 1959- أن دور المؤلف الحقيقي قد حط من شأنه في التفسير النقدي بوصفه جزءا من المقاربة النقدية الجديدة. »<sup>19</sup> بغية تمكين القارئ العربي من حدود التصور النظري لهذه الإجرائية أو الإستراتيجية القرائية، وبيان التسلسل المعرفي بين النقاد الغربيين

في الاستناد على التنظيمات الأولى لعملية القراءة والإضافة النوعية التي قام بها فولفغانغ أيزر بعدها في وصف عملية القراءة الجمالية للأعمال الأدبية، بدءاً بتحديد البنية اللغوية والتعرف على موجّهات القراءة فيها من الضمائر والإحالات النصية وتحديد وجهة النظر التي يستند إليها القارئ كمستند قوي في التفسير أو التأويل، « يفترض أيزر دلالة أكبر للتفاعل بين النص والقارئ حيث يدفع القارئ في اتجاهات معينة ويقوم القارئ بسد أية فجوات يتركها النص. »<sup>20</sup> ليفرد المؤلف فصلاً ثالثاً حول جمالية التلقي " افتراضات يابوس وأيزر " تناول فيها بالدرس والتحليل ظروف النشأة ومبررات الوجود النقدي لهذه النظرية، من خلال التحول المنهجي في التعامل مع أقطاب العملية الإبداعية ( المؤلف - النص - المتلقي أو القارئ) نقدياً، وبيان مراحل العمر المنهجي للمناهج النقدية الحديثة والمعاصرة. « حيث يكن للمرء أن يُمرحّل تاريخ النظرية الأدبية الحديثة وبصورة تقريبية جداً في ثلاث مراحل: مرحلة الانشغال بالمؤلف ( الرومانتيكية والقرن التاسع عشر)؛ مرحلة الاهتمام الحصري بالنص ( النقد الجديد )؛ ومرحلة انزياح الاهتمام بشكل ملحوظ باتجاه القارئ في السنوات الأخيرة. »<sup>21</sup> والدور الحقيقي للقارئ في هذه المرحلة يتمثل في قراءة وتأويل الأعمال الأدبية عن طريق استثمار المعطيات الفنية القابعة داخل النص والظواهر الأسلوبية البارزة فيه واستغلال الآفاق الممكنة التي يتوفرها المتلقي لمقاربة النص مقارنة جمالية منتجة، كأفق الانتظار وخيبة الانتظار وانصهار الآفاق والمسافة الجمالية، وغيرها من الآليات التي اقترحها هانز روبرت يابوس لطريقة تلقي العمل الأدبي. وأهم الإجراءات التي يعتمد عليها المتلقي في بناء المعنى عند فولفغانغ أيزر كالقارئ الضمني مثلاً، ودوره في تفسير البنيات الداخلية للنص الأدبي، متمثلة في البنى اللغوية المساعدة لعملية القراءة النصية كبديل إجرائي عن القراءة السياقية. « ومن أجل تحقيق عملية الإثمار هذه يحتاج النص الأدبي إلى تخيل القارئ الذي يعطي شكلاً معيناً لتفاعل معاملات الارتباط التي يؤذن لها بالتحقق في البنية عبر متتالية من الجمل. »<sup>22</sup> ليتوصل الباحث في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج النقدية التي تخص مسار النظرية، وتحدد آفاقاً جديدة في التلقي والقراءة الجمالية للنصوص الأدبية؛ كون هذا البحث الاستقرائي الوصفي يستند إلى المنهج المعرفي في استظهار الخلفية الفلسفية والعلمية لنظرية القراءة والتلقي، وتحديد نقدي دقيق لمفهوم

التلقي ودور المتلقي في بعث عوالم النص الأدبي والكشف عن معناه، وتحقيق الاستجابة الجمالية عن طريق التفاعل والتواصل النوعي بين القطب الفني والقطب الجمالي، وعبر الاستراتيجيات والآليات المنهجية التي يوظفها القارئ لقراءة النص الأدبي قراءة جمالية منتجة.

تفتح نظرية التلقي على النظريات والمنهجيات الحديثة والفلسفات الرؤية المعاصرة كالتأويل مثلا، لتجنب المنطق البنيوي الصارم والتحديد الشكلي الصرف، بل اعتمدت فلسفة جديدة تترك المعنى يفيض على كؤوس القراءة وتزين به موائدهم ومجالسهم وتختلف فواكههم بين النتاجات التاريخية والآفاق الجمالية المرجعية، وبين الرؤى المعاصرة في القراءات النصية المنتجة والملكات الشخصية للقراء كالفهم والإدراك.

انسجما مع هذا الطرح المعرفي الأصولي، تستوقفنا دراسة أخرى قيّمة للباحث الجزائري عبد الكريم شرقي بعنوان: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الذي صرح بدوره عن الدوافع العلمية في الكتابة في هذا الشأن النقدي، فالأمرفائم على المثاقفة النقدية الواعية لما تملك الأنا الناقدة العربية من موروث نقدي غني؛ فهو يرمي من وراء هذا البحث إلى «مد جسر التواصل والتحاوُر المعرفي الذي يمنح القارئ والباحث العربي إمكانية الاطلاع على النتاجات الفكرية الناجمة عن الحركة الغنية للفكر الفلسفي والتنظيري والنقدي في الساحة النقدية الغربية، فيكتسب بذلك مخزونا معرفيا جديدا يسمح له بأن ينظر بعين الموضوعية إلى موروثه المعرفي الخاص، ومن هنا تبدأ حركة التجاوز والنقد والتمحيص، ولكن في اتجاه التأصيل وليس في اتجاه الاستغناء»<sup>23</sup> وهذا في الحقيقة هو عين المثاقفة النقدية، في أن تتعرف على نتاج الآخر الذي ترك بصمته على الساحة الثقافية بمقارباته وقراءاته المنهجية للأدب، ثم تنظر بعين البصير العارف بخفايا التراث النقدي وطاقاته، ومن ثمة تنزل الأمور في سياقها الإبيستمولوجي الحقيقي، لتأتي مرحلة التجاوز والإضافة والإزاحة إن أمكن إلى ذلك.

تحاول الدراسة أن تقارب بعض المسائل المتعلقة بفعلي القراءة والتأويل، من خلال تناول المكونات الظاهرة والباطنة لهاتين العمليتين النقديتين المهمتين، تتمثل الأولى؛ في مقارنة المكون الداخلي للنصوص الأدبية، الذي هو المعنى، - مهوى كل شاعر وناثر وقارئ وناقد -

ورؤية الأطراف الفاعلة إليه، والفلسفات والمنهجيات النقدية الحدائثة وما بعد الحدائثة في الكشف عنه، وكيفية إخراجه من حالة الكمون إلى النشاط والحركة، وجعله صالحا للفهم والإدراك والتأويل، ودور الذات المدركة والمؤولة في إخراجه من حال الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل؛ إذ نجد جميع النظريات والمناهج النقدية والفلسفات التأويلية مهتمة « بالدرجة الأولى بالمعنى الأدبي كما يتولد من خلال القراءة: كيف يظهر إلى الوجود، وأين يتجسم، وما صلته بالأشكال الأخرى للفعالية العقلية، ومن يسيطر عليهن وكيف يمكن تثمينه.»<sup>24</sup> والتي هي في الحقيقة مواطن الاختلاف بين هذه النظريات والفلسفات. من هنا جاءت فكرة البحث المركزية في استظهار هذه الرؤى النقدية معرفيا وتمثيلا للآليات والأوليات التي تتخذها الذات المدركة في الكشف عن المعنى الأدبي، بدءا بالحالة الأولية التي هي الفهم وارتباطه الأصيل بالذات ورؤيته الخاصة للوجود والأشياء؛ «فهم نصّ ما، إذا، هو حالة خاصة من الموقف الحوارى الذي يستجيب فيه شخص ما لشخص آخر سواء.»<sup>25</sup> إلى إدراك المعنى في البنيات اللغوية، وجعله متداولاً عند القارئ، «لقد لخص جوزيف كوينغ Konig. | هذه الوضعية كالاتي: لاشك أن عبارتي "كونه جميل" و "هذا جميل" ليستا بدون معنى، ومع ذلك ماذا تعنيان؟ لا شيء سوى ما هو معنوي من خلالهما وما هذا إلا شيء ما، إلى حد أنه ليس شيئا سوى ما هو معنوي من خلال هاتين العبارتين.»<sup>26</sup> ما يجعل القارئ يحاول إدراك المعنى عن طريق معايشة الحدث ومعرفة جوانب التأثير فيه، إلى فعل التأويل الذي يجعل المعنى متعددًا داخل النص الأدبي.

تتأسس الرؤية المعرفية لهذا البحث في تجلّية بعض المفاهيم المركزية في الفلسفة الهرمينوطيقية والفرمونتولوجية وتأثيرها الواضح والجلي في تشكيل معالم نظرية القراءة والتلقي، حيث تناولهما الباحث في فصلين كاملين من فصول هذه الدراسة القيمة. إذ اعتمد المنهج التاريخي في عرض مسار الهرمينوطيقا التأسيسي والتأصيلي في نفس الوقت في آثار أعلامه النقدية، منذ القرن السابع عشر إلى شلايرماخر، ودلتاي وغادامير وبول ريكور، وموقفهم من حرية التأويل وموضوعيته؛ « والواقع أن مفهوم "الهرمينوطيقا" ينطوي على مجموعة من المفاهيم "الفرعية" أو "المقابلة" التي تشير إلى أصناف مختلفة من العمليات التأويلية الممارسة على النصوص كالفهم والتفسير والشرح والتأويل والترجمة

والتطبيق... الخ»<sup>27</sup> ويستعرض الباحث في هذا الفصل جهود الهرمينوطيقين في تنزيل هذه الآليات المنزلة الوظيفية لها، بدءاً من الاستعمال التاريخي إلى التوظيف المعاصر لها. ليناوّل الفصل الثاني من هذا البحث قضية العلاقة بين الذات والموضوع من منظور الفلاسفة والمنظرين الفنونولوجيين (هوسرل، هايدجر، انغاردن، سارتر) وتأثير ذلك على علاقة القارئ بالنص، أي بين القطب الفني والجمالي، ومعرفة متطلبات هذه العلاقة من جهة بناء معنى النص، والتجاذب الجمالي بين ذاتية القارئ وموضوعية البناء النصي.

ليباشر الباحث في بيان المواضع العامة والشروط الخاصة لميلاد جمالية التلقي، عبر اللحظات والمحطات الفاصلة في تاريخ التلقي، وتوظيف أهم الآليات المقاربة لهذه العملية، كمفهوم الأفق (الانتظار أو التوقع والمنعطف التاريخي والمسافة الجمالية...)، عند هانز روبرت يابوس إلى الممارسة المباشرة والحوار الفعلي والتواصل النوعي والتفاعل المثمر مع بنيات النص الأدبي عن طريق جملة من الاستراتيجيات التي قدّمها فولفغانغ أيزر، كالقارئ الضمني في مقابل أنواع القراءة في النظرية النقدية المعاصرة وتفضيل أيزر للوظيفة النصية التي يقوم بها، إلى اعتماد مفهومين رئيسيين في عملية القراءة وهو مفهوم السجل النصي والاستراتيجيات النصية، ودورهما في نقل صورة الواقع اليومي إلى الواقع النصي، بطريقة تغري القارئ عن فهم عالمه اليومي عن طريق عوالم النص الممكنة وتوجيهه لاتخاذ القرار المناسب في الفعل والقول، والجمع بين سلطة المرجع وحضور المعنى داخل النص الأدبي، عبر تحديد مفهوم الواجهة الخلفية والأمامية للعمل الأدبي وبين الموضوع والأفق ووجهة النظر الجوالّة أو المتحركة. كما أن الباحث عالّج في الفصل الرابع من الكتاب الأبعاد السوسيو-تاريخية لفعل القراءة وأهم العلاقات الاجتماعية والسياقات الثقافية الموجهة للقراءة المنتجة والفاعلة. لتبقى فرضية البحث في النهاية مفتوحة على الإضافة ومزاولة البحث في المكونات الداخلية والمرافعات الخارجية لفعل القراءة والتلقي والتجاوب الجمالي، التي لا تعرف الاستقرار والسكونية.

#### 2-4- خطاب المقولات والمفاهيم:

لكل جهاز نظري أو تطبيقي مقولاته المحورية ومفاهيمه المركزية، التي تضمن له الاتساق في التصور والتمثيل، وتحقق له الانسجام في الطرح والتطبيق؛ لذلك عمّد نقادنا العرب إلى

مناقفة هذه النظرية من جهة المصطلحات والمفاهيم القاعدية والفرعية التي تحكم فعل القراءة والتلقي وتصف لحظة التجاوب الجمالي. نتناول في هذا المطلب المؤلف الجماعي الصادر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (جامعة الملك الخامس- المغرب)، بعنوان: نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات؛ حيث كان البعد الحوارية – الثقافية بارزا في مطلع ومستهل هذا الكتاب الجماعي لبعض النقاد المغاربة، « حينما اخترنا أن يكون موضوعا "للملتقى" نظرية التلقي لم تكن مبادرتنا بدافع التقليد الأعمى أو بدافع التظاهر بمعرفة ما يروج في الأوساط الثقافية والجامعية من جديد المناهج، وإنما كان اختيارنا مبنيا على اقتناع للإسهام الحقيقي الذي جاءت به هذه النظرية، في مجال التأريخ للأدب وتأويله وإبداعه»<sup>28</sup> يكون هذا الثقافة – كما يقول محمد مفتاح - مبنيا على «إواليات نفسانية تتدخل لتحديد كميّات التعامل والاقتراض. وقد اقترحنا مفاهيم لضبط الإواليات؛ هي "القولبة" والتمثّل والتكْيُف والتحصُّن والتطرف و"المُخَيَّطَة»<sup>29</sup> تهتم المقالة الأولى بنظرية التلقي والنقد الأدبي العربي، وهذا ضمن سياق أو مسار المحيطة لهذه النظرية في النقد العربي، إذ بحث الناقد أحمد بو حسن أول الأمر في السياقات العامة لنظرية التلقي في النقد الألماني؛ وذلك بحكم المولد والنشأة والذويوع والانتشار، وقد اعتمد أحمد بو حسن النهج المعرفي المقارن في بيان ظروف التلقي والتقبل والتمثّل؛ بدءا بمستوى التداول لمصطلح التلقي في المعاجم الألمانية الحديثة ومقارنته بالمعاجم العربية، إذ لاحظ الناقد شيوع المصطلح الألماني في بعده النظري والجمالي أما في المعاجم العربية فعرف المصطلح ببعده اللغوي المتضمن معنى الاستقبال والأخذ والتعلم، وهذه الميزة لم تتفرد به المعاجم العربية فقط، فقد كان للمعاجم الفرنسية نصيب من هذه الدلالة الغوية. كما تناول أحمد بو حسن السياق المعرفي والمنهجي في ميلاد نظرية التلقي وأهم المنطلقات والخلفيات المعرفية والفلسفية المساهمة في بلورة مفاهيمها وفرضياتها عند يابوس وآيزر.

وتأكيدا لمبدأ المناقفة النقدية التي عمّد إليها نقادنا في معرفة خصوصيات هذه النظرية؛ إذ « لا بد من الإشارة إلى الأساس الاستمولوجي الذي سبني عليه فرضياته سيكون كما ذكرنا من قبل مستندا إلى المفهوم الظاهراتي للفن والأدب. ولذلك أعاد النظر في ثنائية الذات/الموضوع. فميز بين ما للموضوع وما للذات وكشف عن العلاقة بينهما، حينما ميز بين

الفن والجميل.»<sup>30</sup> إذ يميز في نظريته بين ثلاث مظاهر أو مراحل لتلقي العمل الأدبي: - المظهر التعاقبي - المظهر التعقبي - العلاقة بين التطور الخاص للأدب وتطور التاريخ العام. من أجل ذلك قدم ياوس جملة من المفاهيم المقاربة لهذه العلاقة التعاقبية التعقبية، منها: أفق الانتظار- تغير الأفق - اندماج الأفق - المنعطف التاريخي. بينما يركز النموذج الجمالي عند آيزر على جملة من الفرضيات التي تحدد كيفية القراءة للنص، منها النص في ذاته - صيرورة القراءة- تفاعل النص والقارئ.

أما من جهة استثمار مفاهيم النظرية في النقد العربي، فقد اتخذ الناقد مفهوم أفق الانتظار عند ياوس سبيلا لتحقيق أدبنا الحديث، وذلك « بأخذ بعين الاعتبار مختلف التلقيات التي تعرضت لها جملة من النصوص الأساسية دون غيرها، وساهمت في بناء الرأي العام الأدبي والنقدي وأصلت انتظارات دامت طويلا، أو خلقت انتظارات جديدة أو متصارعة.»<sup>31</sup> وقد حددها الناقد في ثلاث مراحل متعاقبة: - مرحلة أفق الانتظار المنسجم - مرحلة تعارض أفق الانتظارات - مرحلة تباعد أفق الانتظارات.<sup>32</sup>

مسار آخر من مسارات المثاقفة النقدية العربية في مجال المفاهيم والمقولات المركزية لنظرية التلقي الألمانية، في هذا الكتاب النقدي؛ هو مسار التمثل في بحث الناقد المغربي محمد مفتاح بعنوان: من أجل تلقي نسقي؛ لأنه « كان واعيا بالنسق المفاهيمي لنظرية التلقي، ويتجلى ذلك من خلال توظيفه لعدد من مفاهيمها ك: تفاعل المتلقي، الثغرات، اندماج الأفاق .... كما أنه قد وفق في تحقيق التكامل من جهة نظرية التلقي والتحليل النسقي الذي يعد جزءا لا يتجزأ من نظرية التلقي والتاريخانية الجديدة من جهة ثانية.»<sup>33</sup> كما أنّ رؤية محمد مفتاح لنظرية التلقي كانت وظيفية الفحوى والمقصد، وذلك من خلال استثماره لبعض المفاهيم المحورية في هذه النظرية في تحقيق الثقافة المغربية، وهذا عبر التلقي النسقي للمراحل الكبرى والمحطات البارزة في هذه الثقافة، والوقوف عند المكونات الحقيقية والسمات المميزة لها، فالمرحلة الأولى هيمنت عليها مقصدية الموافقات، والمرحلة الثانية هيمنت عليها مقصدية الانكماش والاسترجاع، أما المرحلة الثالثة فهيمنت عليها مقصدية محاولة الاستمرار.<sup>34</sup> ليقدم الناقد مشروعاً علمياً متكاملًا في تحليل الأنساق الثقافية النازمة والموجهة للثقافة المغربية، وطريقة تحليلها استنادًا للتصورات النظرية



والتطبيقية لنظرية التلقي، من خلال استثماره لجمالية التلقي عند ياكوس، من خلال متابعة تاريخ التلقي والإشهاد المرجعي للموجه المعرفي للإبداع البشري؛ " ذلك أن استقبال الأثر الأدبي من قبل قرائه الأوائل يتضمن مسبقاً حكم قيمة جمالي يحمله هؤلاء القراء من خلال ارتكازهم على مرجعية تتمثل في خبرتهم بأنار أخرى مقروء سابقاً، هذا الإدراك الأولي للأثر يمكنه أن يتطور بعد ذلك، وأن يغتني من جيل لآخر في اتجاه تكوين « سلسلة من التلقيات " عبر التاريخ تبت في القيمة التاريخية للأثر، وتبرز مكانته داخل التراتبية الجمالية. «<sup>35</sup> فبدأ الناقد بتلقي القدماء للنسق الفلسفي والبلاغي في النقد المغربي، ومهمة الناقد في تقريب الصور البلاغية لجمهور القراء والمتلقين، فمثل لذلك بتجربة أبي محمد القاسم السجلماسي وأبي البناء المراكشي، وأهم الدلائل والقرائن التي تدل على قدرتهم في التأصيل لمسائل البلاغة والفكر الفلسفي وإدراكهم لخصوصية المرحلة والتجربة الجمالية التي خاضتها الذات الجماعية آنذاك، كما استعرض الناقد تجربة المتلقين المحدثين في قراءة كتب التراث وأهم الإضافات المعرفية والمداخل المنهجية في تحليلها ونقدها، فقسّمها إلى ثلاث قراءات معاصرة لهذه الكتب البلاغية. بين القراءة المتفلسفة عند محمد عابد الجابري، والقراءة المتأدبة عند علال الغازي وابن تاويت ورضوان بنشقرن والقراءة النسقية للبلاغة.<sup>36</sup>

وضمن هذا النسق الوظيفي لنظرية التلقي قدّم الناقد المغربي حميد لحميداني في هذا الكتاب النقدي، دراسة نقدية لـ: مستويات التلقي، القصة القصيرة نموذجاً، حيث استعرض د.حميداني أهم مستويات المعرفة الإنسانية (الحدسية- الإيديولوجية- الذهنية- الإبيستمولوجية) وما يقابلها من مستويات القراءة التي يعتمد عليها كل قارئ (حدسية- إيديولوجية- معرفية- منهجية) والوظيفة التي تستدعيها كل قراءة (التذوق والمتعة- المنفعة- التحليل- التأمل والمقارنة وإدراك الأبعاد)، وحاول الناقد أن يجعلها متصاهرة في بوتقة واحدة تخدم شروط القراءة الإبداعية المنتجة، « ولا ينبغي الاعتقاد بأن هذه القراءات هي جزر متباعدة، بحيث لا يمكن أن تلتقي أو تتداخل فيما بينها، فالقراءة المعرفية قد لا تستغني عن القراءة الحدسية، ولكن حدس الناقد ليس في مستوى حدس القارئ العادي أو حدس دارس الأدب المتهيب من المناهج ومن كل معرفة مُنظمة.»<sup>37</sup> وقد

مثل لذلك باختيار واختبار عينة من طلبة السلك الثالث في تخصص النقد الأدبي الحديث، وقد لاحظ الناقد أنّ « العينة الواحدة ستظهر فيها مستويات متعددة، بحسب إمكانيات أفرادها وقدراتهم على الفهم، واختلاف تجاربهم وكمية معارفهم»<sup>38</sup> وهذا ما أراد تأكيده والوصول إليه في نهاية هذا الاختبار، من مقدرة الطلاب على تنوع ملكاتهم ومعارفهم وتجنيدها من أجل إعطاء معان جديدة للنص الأدبي، وقد وجد في هذه التصنيفات أو المستويات مدخلا منهجيا لتفعيل بعض المفاهيم المركزية في نظرية التلقي، من خلال الوقوف عند مستويات الفهم للنص القصصي القصير، ودرجات الوعي لعوامله المتخيلة وإعداد شبكة القراءة التي شملت الجوانب الشكلية والمعنوية لقصة " الجرادة" لمحمد زفزاف.

#### 3-4- خطاب الممارسة والتطبيق:

تظهر القيمة العلمية للنظريات والمناهج النقدية، في استثمار آلياتها وتطبيق مقولاتها على النصوص الأدبية القديمة أو الحديثة، وإثبات مستوى الجاهزية في الكشف عن المعنى الذي يختلج طبقات النص المختلفة، لتقدم هذه النظريات النقدية مفاتيح منهجية للولوج إلى عوالم النص الممكنة أو المتخيلة؛ إذ « يتجوهر مسار القصد القرآني في إطار الدراسة النقدية الحديثة داخل (رؤية) عامة تحدّد المناخ، و(منهج) نوعي يرسم خصائص الفاعلية الإجرائية للقراءة ويهندس مستوياتها وخططها ويحدد معالمها»<sup>39</sup>.

تستوقفنا دراسة قيّمة في هذا المجال، بعنوان: المتنبّي والتجربة الجمالية عند العرب، للناقد التونسي حسين الواد، التي تتخذ من شأنها مقولات نظرية التلقي سبيلا لاقتحام عالم المتنبّي الشعري، وتكشف من خلالها عن سرّ التألّق والتأثير على الذوات المتلقية لشعره في عصره وعصور تاليّة له، حتى عصرنا هذا؛ حصل هذا الاهتمام الواسع بالنظرية من د.حسين الواد بعد اللقاء العلمي الذي جمعه بعلم من أعلام النظرية الألمانية؛ إذ « عندما استضافت كلية ((العلوم الإنسانية والاجتماعية)) بتونس ((هانز روبريغ يوص)) H.R.Yauss (صاحب جمالية التلقي) سنة 1994 تفضل المركز الثقافي الألماني بترتيب لقاء بيني وبين هذا العالم الجليل الذي كنت استندت في دراستي هذه إلى بعض أعماله. أحب أن

أذكر أنني سعدت فعلا بالتحدث إلى هذا الشيخ. فوجئت عندما قال لي إنه سمع قبل مجيئه إلى تونس بالدراسة عن المتنبي.<sup>40</sup> بين في بداية الكتاب أثر التحول الحاصل في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، من خلال الانتقال من سلطة المرجع إلى بنية النص إلى جمالية التقبل، التي وجد فيها الأديب والمتلقي عبر النص الأدبي فرصة سانحة للشهرة والمتعة والأدبية، « ما دام الأديب، أي أديب، إنما يكتب أدبه للناس، وما دام الجمهور المتقبل هو الذي يمنح الآثار الأدبية حياة متى تدارسها وأغدق عليها من ميله وهواه.»<sup>41</sup> نجد ذلك جليا في شخصية المتنبي الشعرية، الذي ملأ الدنيا شعرا وحكمة وشغل الناس فهما وتحليلا وتأويلا، « فشاعر مثل المتنبي قد يصل عدد شارحي ديوانه إلى ما يزيد على الخمسين شارحا، وذلك لقابلية نصوصه لأن تفهم وتؤول بغير معنى، ويدل على ذلك عدد شروح ديوانه التي لا يكاد شراحها يتفوقون إلا على المعاني العامة فقط.»<sup>42</sup> كما أنّ الدراسات النقدية الحديثة لم تولّ شعر المتنبي في علاقته بالجمهور الاهتمام العلمي المقبول، وقد أراد د. حسين الواد أن يقتفي الأثر المفسر في ذلك، فأرجعها إلى التعامل النفسي والانطباعي بهذه الآثار الأدبية، وإلى التعامل اللحظي والشعور بالدهشة والإعجاب من توظيف اللغة والصور الأدبية في شعر المتنبي، غير أنّ الأمر معقود على مصادر الفكر والثقافة في شعره، والقدرة على التحدي والمواجهة من الشاعر في حدّ ذاته.

من أجل ذلك اتخذ المؤلف من جمالية التقبل سبيلا ومنهجيا لاقتحام عوالم شعر المتنبي، من حيث سياقاته الخارجية، وأبنيته الداخلية، عن طريق تلقي الجمهور الأول لهذا العمل أو الآثار الأدبي، إلى سلسلة القراء المتتابعين، وما قدموه من تفسيرات وتأويلات محتملة تضيء النص وترفع من قدره، « إن الخطوة من تاريخ استقبال العمل المنفرد إلى تاريخ الأدب تقود لرؤية وتمثيل النتائج التاريخية للأعمال كما تقرر وتشرح تماسك الأدب، إلى المدى الذي أصبح فيه ذات معنى بالنسبة لنا كما قبل تاريخ لخبرتنا الحالية.»<sup>43</sup> وتبدأ سلسلة التلقي في شعر المتنبي، من خلال موقف من عايشه وعاصره، من اللغويين والأدباء والنقاد، وما قدّم حول شعره من شرح أو تفسير أو موقف نقدي؛ وقد بدأ المؤلف في عرض المصنفات والمؤلفات الذي كتبت حول شعره؛ بدءا بالشروح، كالفسر لأبي عثمان ابن جني ومعجز أحمد لأبي العلاء المعري، وشرح ديوان المتنبي للوآحدي والموضح للتبريزي، إلى رسائل

الانتقاد وإظهار الخصومة وتتبع السقطات والسرقات في شعر المتنبي، في مؤلف أبي علي الحاتمي والصاحب بن عباد والقاضي الجرجاني، وتتبع حضور شعر المتنبي في مصنفات الأدب والبلاغة والنقد؛ هذا الأمر يسهم في تشكيل مفهوم أفق الانتظار، كمرجع مهم في القراءة والتلقي الجمالي « لقد ذهب يوص إلى أن الأثر الأدبي يتجه إلى قارئ مُدرك تعود على التعامل مع الآثار الجمالية وتكيف مع التقاليد التعبيرية فيها، فكان أفق الانتظار، عنده، يتجسم في تلك العلامات والدعوات والإشارات التي تفترض استعدادا مسبقا لدى الجمهور لتلقي الأثر». <sup>44</sup> فاهتدى بهذه الآلية، إلى مقارنة الأبيات المهملة بالمتوقعة من حيث تداولها على ألسنة الجمهور والمتلقين من عدمه، والتزامه بالسنن العربي في القول الشعري وعموده، وخروجه عنها أحيانا وهذا ما اصطاح عليه المؤلف بالأبيات المفاجئة، التي يكسر بها الشاعر أفق التوقع لدى المتلقي، « وتنشأ مسافة بين القيم المحمّل بها النص فيما يلمسه القارئ وبين أفق توقعاته المُنْبئ قبل مطالعة هذا النص، وهذه المسافة يسميها "ياوس" بـ "المسافة الجمالية". وهنا يبدأ الأفق نفسه في تعديل ذاته بما اكتسبه من خلال قيم هذا النص». <sup>45</sup> وهنا سرّ الأدبية في أبيات المتنبي المفاجئة للذوق العام وللتقبل السائد ما يدعو إلى إعادة بناء أفق جديد، ينسجم مع هذا الانزياح الشعري في الألفاظ والتراكيب والمعاني والصور.

إنّها رحلة جمالية في عالم المتنبي الشعري، قادنا فيها المؤلف إلى التماس الأثر الناتج عن تلقي الأوائل لشعر المتنبي، برؤى نقدية معاصرة، متمثلة في جمالية التلقي عند هانز روبرت ياوس، أراد من خلالها اختبار فعالية المقولات والآليات المنهجية على شعر المتنبي، واتساع شعر هذا الأخير للمعاني الجديدة والمتولدة.

### خاتمة:

يمكن لهذه الدراسة أن تخلص بجملته من النتائج والاستنتاجات أهمها:  
- كل النظريات والمناهج النقدية تقبل التوارد على بعضها، لما فيه من بالغ الأثر وعظيم الفائدة في تجديد الأنساق الناظمة والمنتجة والمستقبلية.

- تفرض المواقفة النقدية منطقا صارما في تقبل نتاج الآخر، يتمثل في ضرورة تكوين مناعة فكرية قوية تعرضّ عليها المناهج والنظريات النقدية، بما يوافق إمكانات الذات الناقدة المحلية وحاجتها العلمية إلى تقبلها وتمثلها في مقارنة النصوص الأدبية القديمة والحديثة.
- لقيت نظرية القراءة والتلقي استحسانا واسعا عند نقادنا العرب، فأقبلوا عليها يتدارسونها في مجالسهم العلمية وملتقياتهم الثقافية ومؤلفاتهم الفردية أو الجماعية.
- تعددت وتنوعت مقاربات النقاد العرب لنظرية القراءة والتلقي، بين باحث في أصولها المعرفية ومرجعياتها العلمية، وبين باحث في مقولاتها ومفاهيمها المتداولة في حقل النظرية، وبين مطبق لآلياتها المنهجية وأدواتها الإجرائية على نصوص عربية قديمة أو حديثة.
- تفتح هذه النظرية في الأخير للنقاد العربي آفاقا جديدة في مقارنة النص الأدبي والكشف عن معانيه ودلالاته الممكنة والمحتملة، وجعلّه ملتقى الحوار الفكري والثقافي والنقدي بين الذوات الفاعلة والمنتجة.

### قائمة المراجع:

- 1- إيغلتن، تيري، (1995)، نظرية الأدب، تر: نائير ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دط.
- 2- إيذر، فولفغانغ، (1995)، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر: حميد لحميداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، دط.
- 3- البريكي، فاطمة، (2006)، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دارالعالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط01.
- 4- بن تومي، اليامين، (2017)، تشریح العواضل البنيوية والتاريخية للعقل النقدي العربي (دراسة في الأنساق الثقافية العربية الكلية والجزئية)، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط01.
- 5- بوحسن، أحمد، مفتاح، محمد وآخرون، (1993)، نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط.

- 6- تومبكنز، جين ب.:، (1998)، نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى مابعد البنوية، تر: حسن ناظم، علي حاكم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، دط.
- 7- خضر، ناظم عودة، (1997)، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط01.
- 8- راي، وليم، (1987)، المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، العراق، ط01.
- 9- ريكور، بول، (2006)، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط02.
- 10- الدواي، عبد الرزاق، (2013)، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01.
- 11- سحلول، حسن مصطفى، (2001)، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط.
- 12- السروي، صلاح، (2012)، المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، دار الكتبي، القاهرة، مصر، ط01.
- 13- سالم، صلاح، (2016)، التعددية الثقافية وحوار الحضارات والحوار العابر للثقافات، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 03، مج 44، يناير- مارس، 2016.
- 14- سي هول، روبرت، (1992)، نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، تر: زعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط01.
- 15- شرفي، عبد الكريم، (2007)، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01.
- 16- عبید، محمد صابر، (2015)، النظرية النقدية، القراءة، المنهج، التشكيل الأجناسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01.
- 17- العشري، محمود أحمد، (2003)، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة، دليل القارئ العام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط02.
- 18- عفاني، فؤاد، (2011)، نظرية التلقي، رحلة الهجرة، دار نينوي، دمشق، سوريا، دط.
- 19- علّوش، سعيد، (2019)، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01.
- 20- علي، حرب، (1994)، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر- مقاربات نقدية وسجالية -، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01.

- 21- عيلان، عمر، ( 2010 )، النقد العربي الجديد، مقارنة في نقد النقد، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01.
- 22- مفتاح، محمد، ( 1994 )، من أجل تلقّ نسقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، دط.
- 23- مفتاح، محمد، ( 2000 )، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01.
- 24- مفتاح، محمد، ( 2000 )، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط01.
- 25- ميل، ستيوارت، لوون، بورين فان، (2005)، أقدم لك النظرية النقدية، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط01.
- 26- الواد، حسين، ( 1985 )، في مناهج الدراسات الأدبية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02.
- 27- الواد، حسين، ( 2004 )، المتنبّي والتجربة الجمالية عند العرب، (تلقى القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02.
- 28- يابوس، هانس روبرت، ( 2014 )، نحو جمالية للتلقي، تاريخ الأدب تحدّد لنظرية الأدب، تر: محمد مساعدي، النايا للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط01.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> - علّوش، سعيد، ( 2019 )، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، ص 362.
- <sup>2</sup> - مطلوب، أحمد، ( 2001 )، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، ص 352.
- <sup>3</sup> - علّوش سعيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ص 361-362.
- <sup>4</sup> - الغانمي، سعيد، ( 2001 )، مئة عام من الفكر النقدي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط01، ص 12-13.
- <sup>5</sup> - السروي، صلاح، ( 2012 )، المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، دار الكتي، القاهرة، مصر، ط01، ص 62.
- <sup>6</sup> - سالم، صلاح، ( 2016 )، التعددية الثقافية وحوار الحضارات والحوار العابر للثقافات، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 03، مج 44، يناير-مارس، 2016، ص 08.
- <sup>7</sup> - علي، حرب، ( 1994 )، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر- مقاربات نقدية وسجالية - ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، ص 181.

- <sup>8</sup> - بن تومي، اليامين، ( 2017 )، تشرح العواضيل البنيوية والتاريخية للعقل النقدي العربي ( دراسة في الأنساق الثقافية العربية الكلية والجزئية )، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط01، ص 45-46.
- <sup>9</sup> - مفتاح، محمد، ( 2000 )، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمناقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01، ص 08.
- <sup>10</sup> - عيلان، عمر، ( 2010 )، النقد العربي الجديد، مقارنة في نقد النقد، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01، ص 17.
- <sup>11</sup> - المرجع نفسه: ص 17.
- <sup>12</sup> - مفتاح، محمد، ( 1994 )، من أجل تلقّ نسقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، دط، ص 43 - 44.
- <sup>13</sup> - الدواي، عبد الرزاق، ( 2013 )، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01، ص 44-45.
- <sup>14</sup> - مفتاح، محمد، ( 2000 )، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط01، ص 45.
- <sup>15</sup> - سحلول، حسن مصطفى، ( 2001 )، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، ص 09.
- <sup>16</sup> - خضر، ناظم عودة، (1997)، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط01، ص 50.
- <sup>17</sup> - شرفي، عبد الكريم، ( 2007 )، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01، ص 91.
- <sup>18</sup> - خضر، ناظم عودة، (1997)، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص 79.
- <sup>19</sup> - خضر، ناظم عودة، (1997)، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص 112.
- <sup>20</sup> - ميل، ستوارت، لوون، بورين فان. (2005)، أقدم لك النظرية النقدية، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط01، ص 94.
- <sup>21</sup> - إيغلتن، تيري، (1995)، نظرية الأدب، تر: نادر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دط، ص 131.
- <sup>22</sup> - تومبكنز، جين ب. :. (1998)، نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تر: حسن ناظم، علي حاكم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، دط، ص 117.
- <sup>23</sup> - شرفي، عبد الكريم، ( 2007 )، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، ص 11.



- <sup>24</sup>- راي ، وليم ، ( 1987 )، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، العراق، ط01، ص 11.
- <sup>25</sup>- ريكور، بول، ( 2006 )، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط02، ص 53.
- <sup>26</sup>- إيزر ، فولفغانغ، ( 1995)، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر: حميد لحמידاني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، دط، ص 13.
- <sup>27</sup>- شرفي، عبد الكريم، ( 2007 )، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، ص 18.
- <sup>28</sup>- بوحسن، أحمد ، مفتاح، محمد وآخرون ، ( 1993 )، نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط، ص 07.
- <sup>29</sup>- مفتاح، محمد، ( 2000 )، مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01، ص 08.
- <sup>30</sup>- بوحسن، أحمد ، مفتاح، محمد وآخرون ، ( 1993 )، نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، ص 28.
- <sup>31</sup>- بوحسن، أحمد ، مفتاح، محمد وآخرون ، ( 1993 )، نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، ص 38.
- <sup>32</sup>- ينظر: بوحسن، أحمد ، مفتاح، محمد وآخرون ، ( 1993 )، نظرية التلقي، إشكالات وتطبيقات، ص 39-38.
- <sup>33</sup>- عفاني، فؤاد، ( 2011 )، نظرية التلقي، رحلة الهجرة، دار نينوي، دمشق، سوريا، دط، ص 277.
- <sup>34</sup>- ينظر مفتاح، محمد، من أجل تلق نسقي، ضمن " نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات "، ص 49- 50.
- <sup>35</sup>- يابوس، هانس روبرت، ( 2014 )، نحو جمالية للتلقي، تاريخ الأدب تحدّ لنظرية الأدب، تر: محمد مساعدي، النايا للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط01، ص 57.
- <sup>36</sup>- ينظر: مفتاح، محمد، من أجل تلق نسقي، ضمن " نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات "، ص 58- 67.
- <sup>37</sup>- لحمداني، حميد، ( 2003 )، القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01، ص 216.
- <sup>38</sup>- لحمداني، حميد، مستويات التلقي، القصة القصيرة نموذجاً، ضمن " نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات "، ص 133.
- <sup>39</sup>- عبيد ، محمد صابر، ( 2015 )، النظرية النقدية، القراءة، المنهج، التشكيل الأجناسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، ص 10.
- <sup>40</sup>- الواد، حسين، ( 2004 )، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، (تلقى القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، ص 01.
- <sup>41</sup>- الواد، حسين، ( 2004 )، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، (تلقى القدماء لشعره)، ص 10.
- <sup>42</sup>- البريكي، فاطمة، ( 2006 )، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط01، ص 155.

- 
- <sup>43</sup> - سي هول، روبرت، (1992)، نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط01، ص 76.
- <sup>44</sup> - الواد، حسين، (1985)، في مناهج الدراسات الأدبية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02، ص 79.
- <sup>45</sup> - العشري، محمود أحمد، (2003)، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة، دليل القارئ العام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط02، ص 97.